

الاقتصاد والمجتمع الجزائري من خلال الكتابات الاستشراقية في العهد العثماني
Algerian Economy and Society Through Orientalist
Writings in the Ottoman Era

حصام صورية¹

souraya_31@hotmail.com جامعة أحمد بن بلة وهران 1

Doi: 10.53283/2157-007-002-004

تاريخ الاستلام: 2025/05/13 تاريخ القبول: 2025/05/19 تاريخ النشر: 2025/06/30

10.53283/2157-007-002-004

ملخص: بذل المستشرقون، خاصة منهم الفرنسيون جهودا كبيرة في دراسة المجتمع الجزائري، والتعرف على مختلف مكُوناته، قبل احتلال الجزائر، باعتماد منهج استشراقي متكامل نُسجت خيوطه، اعتمادا على ما تركه الرحالة والقناصل والتجار وحتى الأسرى، الذين زاروا إيالة الجزائر في العصر الحديث، ذلك ما أحال إلى البحث حول ما خلفه هؤلاء، والتساؤل عن الأسباب التي دفعتهم إلى التركيز على الجانب السياسي والعسكري أكثر، فتمت المحاولة من خلال هذه الورقة البحثية؛ إلى التطرق لنماذج تخص الاقتصاد والمجتمع حيث وصف بعض المستشرقون الأعياد والمناسبات الدينية والمحلية، وكيفية إحيائها والاحتفال بها، وما تميز به المجتمع الجزائري من خصائص عن باقي الشعوب العربية الأخرى، ووصف بعض الحواضر العلمية في إيالة الجزائر والتي، كان لها دورا فعالا في تربية الأجيال وتكوينهم علميا، كما كانت هذه المدن محل استقطاب طلبة العلم من داخل الإيالة وخارجها، أيضا اهتم المستشرقون الفرنسيون بمدرسة اللغة العربية، للحاجة إليها في قراءة المخطوطات ونشرها والتعامل بها في الإدارة والمراسلات والتقارير ونحوها، ومن أهم ما جاء في كتاباتهم عن الزراعة والتجارة في إيالة الجزائر، نظرا لتلاؤم المناخ ووفرة الأراضي الصالحة لكل أنواع الزراعات، وفي الأخير تمّ التطرق لكتابات المستشرقين عن إقليم

¹ - بيانات المرسل: حصام صورية، أ.محاضر أ، جامعة أحمد بن بلة وهران 1، الجزائر

souraya_23@hotmail.com

توات، وطريقة استخراج المياه الجوفية في صحراء الجزائر، وابتكار تقنية الفقارة في سقي الأراضي الزراعية.

كلمات مفتاحية : إيالة، الجزائر، المستشرقون، المجتمع، توات.

Abstract: The orientalists, especially the French, made great efforts in studying Algerian society and getting to know its various components, before the occupation of Algeria, by adopting an integrated orientalist approach that was woven into its strings, depending on what the travellers, consuls, merchants, and even prisoners left behind, who visited the province of Algeria in the modern era. To research about what they left behind, and to ask about the reasons that led them to focus more on the political and military side, and the attempt was made through this research paper; It also referred to the discussion of models related to the economy and society, where some orientalists described religious holidays and occasions The local community, how to revive it and celebrate it, and the characteristics that distinguish the Algerian society from other Arab peoples, and describe some of the scientific cities in Algeria, which had an effective role in raising generations and their scientific formation, as these cities were the subject of attracting students of knowledge from within the province And outside it, the French orientalists were also interested in studying the Arabic language, due to the need for it in reading manuscripts, publishing them, and dealing with them in administration, correspondence, reports, etc. Broaching writings Orientalists from the Touat region, the method of extracting groundwater in the Algerian

desert, and the innovation of the foggara technique for irrigating agricultural lands

Keywords Regency, Algeria, orientalist, society, Touat.

1. مقدمة : تعتبر دراسة الوضع الاجتماعي والاقتصادي بإيالة الجزائر، من الأهمية بما كان، ذلك أن أغلب الدراسات الاستشرافية قد ركزت على المناحي السياسية والعسكرية، علما بأن تكوين صورة متكاملة عن المجتمع الجزائري خلال الفترة العثمانية، لا يكون إلا بالتطرق لجميع الجوانب، وعليه فقد جاءت هذه الورقة البحثية؛ لتسليط الضوء على الجوانب الحياتية والاقتصادية، التي جاءت في كتابات المستشرقين الأوروبيين، أمثال فونتير دي بارادي *Venture de Paradis* لو الدكتور شاو *Docteur Shaw*، موريس فاغر *Maurice Wagner*، هذا الموروث بأطرافه المادية واللامادية يعبر عن معارف وعادات وتقاليد وحرف وصنائع ومدن ضاربة أطنابها أعماق التاريخ، وبالتالي فإن هذه الدراسة تصور الكثير من الملاحظات التي سجلها المستشرقون في كتاباتهم، والتي اعتبرت مكونات للذاكرة وإرثا تاريخيا، على الرغم من أنها في أغلبها تحتاج إلى المراجعة والتوثيق من المصادر والمراجع المحلية بعد تعريضها للتحليل والنقد.

2. وصف المناسبات والأعياد:

لقد انتهج الجزائريون بعض المظاهر التي أصبحت على مرّ الأجيال عُرفا وتقليدا يداول عليه السكان، فكانوا يحتفلون بعيدين يحرم فيهما الصيام والحرب، وهما عيد الفطر وعيد الأضحى ويتكرر هذا الاحتفال سنويا، فقد أسسّ لنا خاتم الأنبياء والمرسلين "سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم" طريقة الاحتفال بهذين العيدين والمحافظة على تعاليم الدين والسنة النبوية، بالإضافة إلى ما أضافه السكان المحليين من عادات وأمور خاصة لازالت تمارس إلى يومنا هذا. كان يتم التعرف على اليوم الرسمي للعيد ويعلن رسميا بقرار من المفتي، فتبدأ ليلة

العيد تحضر من طرف الرعية (بفايفر، 1974، صفحة 76)، كان عيد الفطر يسمى بالبيرام (Paradis, 1983, p. 287)، فعند إشراق شمس ذلك اليوم وحلول الصباح تطلق نيران البنادق وتقوم الفرق العسكرية بعزف الموسيقى الحربية، وبعد الإفراغ من صلاة العيد تفتح أبواب القصر على مصراعيها للعامة والخاصة، ومن مظاهر الاحتفال داخل القصر: عزف الموسيقى، والمآدب وإطلاق المفرقات، كانت صور الاحتفالات تدوم ثلاثة أيام على التوالي، ففي اليوم الأول يرفع العلم على القصر وعلى مختلف القلاع وتطلق المدافع توهجها نحو البحر، كما يشرع في مباريات المصارعة بعد ذلك يتقدم كبار الموظفين والأعيان إلى القصر لتقبيل يد الداى أو الباى وتقدم التهاني، كما كان يحضر مراسيم العيد فناصر الدول الأجنبية الموجودة بإيالة الجزائر بالإضافة إلى ممثل الطائفة اليهودية وبعد تلك المراسيم يدعى الحاضرون لتناول الغداء والحلويات والمشروبات المتنوعة . أما عيد الأضحى الذي كان يسمى آنذاك بكربار بيرامى Kurbar Bayrami أو كيجوك بيرامى Kyjuk Bayrami (Show, 1830, p. 129) كانت تتم فيه الاحتفالات بالطريقة التالية فبعد صلاة العيد يخرج الداى من المسجد متجها نحو القصر أين يقوم بذبح أضحية العيد وبعد الانتهاء من تطبيق السنة يرفع العلم على سطح القصر وتطلق المدافع طلقاتها، ثم بعد ذلك يعلن للرعية أن الداى انتهى من عملية النحر وبالتالي بإمكانها مباشرة ذبح الأضحية. وجاء في صدد عيد الاضحى عند وليام شالر Wiliam Shaler عن العيدين " عيد الفطر مثل عيد الأضحى، عبارة عن مناسبة جلييلة تعلنها طلقات المدافع، وفي هذه المناسبة تجرى ألعاب شعبية وتصفف موائد الطعام في القصر وفي كل مكان" (شالر، 1982، صفحة، 87).

احتفل أيضا سكان الايالة بيوم عاشوراء: يمثل عاشوراء اليوم العاشر من شهر محرم، تقام مراسيم الاحتفال في كل عام، يعتبر يوم عظيم بالنسبة للسكان فقد كانوا يحاولون جعل ذلك اليوم أجمل أيام السنة، لما له من معنى لديهم. كانت تطبخ أشهى الأطباق أشهرها

الديودة بالفطير والمعايير (El-Kairouani, p. 490) والفطير عبارة؛ عن عجينة من الدقيق تعجن بدون خميرة وتطبخ بلحم الدجاج، وجرت العادة أنه في يوم عاشوراء تزين الدكاكين وتباع فيها الفواكه الجافة كما تقدم الهدايا للأطفال، ويتم عرض الآلات الموسيقية.

يعتبر المولد النبوي الشريف أكبر الأعياد الدينية التي يحتفل بها سكان الجزائر ، يوم ولد "أعزّ وأفضل خلق الله المصطفى عليه أفضل الصلوات"، تحضر لتلك المناسبة أجمل المدائح الدينية وتزين الشوارع بالشموع والأنوار، كما توزع في هذه المناسبة بعض الهدايا والعتاء للفقراء، من جهتهم رجال الحكم والعلماء يجتمعون في بيت نقيب الأشراف وتقدم له الهدايا وتعود العادة إلى العهدين الحفصي (1292-1574) في الشرق الجزائري و العهد الزياني (1236-1574) في غرب الجزائر، كما كانت تكتظ الزوايا وتعمر المساجد بالمسلمين ويكثر ذكر الله وتلاوة القرآن من جهة والتغني بولادة "الرسول صلى الله عليه وسلم" وكان الاحتفال يدوم لمدة خمسة عشر يوم (El-Kairouani, p. 490)

لقد كانت كذلك تحصى ليلتي الخامس عشر والسابعة والعشرون من شهر رجب بحفها من الفرحة والابتهاج فذكر القيرواني: أن كل منطقة شمال افريقيا تحتفل بيومي رجب (El-Kairouani, p. 490) ، ومن العادة عند الجزائريين أنهم لازالوا يصومون في منتصف شهر رجب. أما عن شهر رمضان الذي كانت تزين فيه أبواب المساجد وتضاء الشوارع لمدة ثلاثين يوما، حيث يختم القرآن الكريم في مساجد الايالة، أما عن صلاة التراويح فكانت تقام بعد صلاة العشاء مباشرة، بالنسبة للاحتفال في شهر رمضان فقد أشار هاينرش Heinrich أن شهر رمضان من كل سنة هو شهر الحلويات والضيافة والأفراح عند الجزائريين لكن الحفلات الوحيدة الصاخبة، التي نقلها الأتراك العثمانيون إلى الجزائر، والتي تقام في شهر رمضان، حتى في العهد الفرنسي، ظلت تسمى احتفالية القرقوس التركي، وكان يحضر استعراض القرقوز مئات الأشخاص، وكان يتم ذلك الاحتفال بعد الإفطار (فون مالتسان، 1976، صفحة، 63).

أما موريس فاغنر Maurice Wagner فقد وصف الاحتفال في شهر الصيام، وقال أن؛ طعام الصائمين في الليل كان الكسكسي بالزيت، والفواكه، وبعد وجبة الافطار، يتوجهون إلى سماع الموسيقى خلال كل شهر الصيام، ويتسلون بمشاهدة عروض الرقص والمسرحيات الهزلية المتنوعة، فكانت هذه من أجمل تجليات شهر رمضان من أعظم وأجمل مراسيمه (El-Kairouani, p. 490).

3 حاجة المستشرقون لدراسة اللغة العربية:

كانت ولا زالت اللغة الرابط الأساسي بين السكان ولولا التشابه في اللهجات لما وجد الأساس صلاحة ثقافية ومبادلات تجارية، ولقد اهتم المستشرقون الفرنسيون بالعربية الفصحى للحاجة إليها في قراءة المخطوطات ونشرها والتعامل بها في الإدارة والمراسلات والتقارير ونحوها، وبعد دخولهم إلى الجزائر لاحظوا وجود لهجات كثيرة ومتنوعة، فركزوا عليها؛ لحصرها، ودراستها، ومعرفة الأصول اللغوية والعرقية للسكان، وكيف تأثر الجزائريون بلهجات أخرى، وطريقة وصولها إليهم (سعد الله، 1988، صفحة 19) كذلك كان من دواعي الاهتمام الفرنسي باللغة واللهجات؛ كيفية التواصل مع هذا المجتمع، وهذا يقود للحديث عن السياسة الاستعمارية المنتهجة من أجل القضاء على الهوية الجزائرية، وتدمير وطمس شخصية المجتمع، اهتموا باللغة الفصحى واللهجات دراسةً وتعليمًا، ومحاولة تدميرها في الاستعمال العام، بإحلال الفرنسية وتعليمها للمجتمع الجزائري؛ لترسيخ وجودهم فيه، فألفوا في هذا الصدد عدة قواميس ثنائية اللغة (فرنسي-عربي)، ومن هؤلاء؛ المستشرق أبراهام دانيوس Abraham Daninos، وجان جوزيف مارسيل Jean Joseph. Marcel، سنة 1937 بباريس بعنوان: (مفردات عربية وفرنسية)، وألف جوني فرعون أول كتاب في النحو بالعامية الجزائرية سنة 1932، وعنوانه: النحو الابتدائي للعربية الدارجة الموجهة للفرنسيين Grammaire élémentaires d'arabe Vulgaire l'usage des français، ثم قام فيما بعد بتبسيطه وتلخيصه لتعميم الفائدة، وسماه:

(موجز النحو العربي البسيط)، ووضع برينيه Brenier دراسة حول لهجة وسط الجزائر أو إيالة الجزائر سنة 1931، وسمّاه: (موجز العربيّة الدّارجة في مدينة الجزائر وفي الإيالة الجزائرية)، وكتاب آخر (الدّروس العمليّة والنظريّة للغة العربية) (سعد الله، 1988، صفحة، 42)، ووضع كوسين دو بارسوفال Coussin de Perceval كتاب يتحدث عن العامية فيه أكثر من عشر لهجات، وله عدّة طبعات، وقام المستشرق كور August. Cour بعرض مفصل لهذه المحاولات على شكل ملاحظات؛ بعنوان (ملاحظات على كراسي اللغة العربية في الجزائر، قسنطينة، وهران (Notes sur les chaises de la langue arabe)، ونشر بالجلّة الإفريقية سنة 1924، ومنهم لوي جان بريزي Loouis Jean. Bresnier نشر كتاب الأجرومية، ونشر مقال التعليم العربي في الجزائر سنة 1918، جعل المحور الأوّل في دروس للتّمرين على النطق باللغة العامية، وكتاب رسم اللغة العربية المنطوقة في الجزائر في عهد الوصاية عليها (Expuisse de la langue arabe parlée à Alger et dans la régence d'Alger)، وسجّل فيه الخصائص التي تميّز العامية الجزائريّة عمّا سواها، وكانت كتبه مرجعا لتعليم اللغة العربية في الجزائر لفترة طويلة وقاعدة لانطلاق دراسات أخرى (سعد الله، 1988، صفحة، 14). ويعتبر أوغست شاربونو August. Cherbonneau (1813-1882)، من أوائل المهتمّين بالعاميات كان ممثل الحكومة الفرنسية لتنظيم مدارسها في الجزائر، وظهرت دراسات وأبحاث حول البربرية، لدراسة التّسيّج الاجتماعي المتنوّع، واستثمارها في إحكام السيطرة على المجتمع، وتطبيق سياسة فرق تسد، أي أنّ هذه الأبحاث وإن اتسمت بالعلمية، إلّا أنّها كانت تخدم الجهاز الاستعماري وتصب فيه، ويعود اهتمامهم بذلك إلى منتصف القرن الثامن عشر، وظهرت عدّة مؤلّفات وأبحاث ومعاجم، منها قاموس الأب هوغ Huygh، وهو قاموس قبائلي فرنسي، وقاموس بربر بجاية الذي حث وزير الحرب الفرنسي على نشره، فصدر الجزء الأوّل منه سنة 1844، اعتمادًا على المصادر الشفوية،

ومعاجم عن لهجة جرجرة، ولهجة الهقار، وتمت المقارنة بين لهجة الطوارق أو التوارق ولهجة القبائل، ولاحظوا الاختلاف بينهم من حيث اللباس وطريقة العمران (حاج بنيرد، مجلة دراسات إستشرافية، العدد 22، 2020، <https://m.iicss.iq/?id=101&sid=190>)

4. الرحالة فونتير دي بارادي Venture de Paradis يصف الزراعة في إيالة الجزائر:

كانت إيالة الجزائر في مرحلة القرن الثامن عشر تعتمد في اقتصادها على الزراعة بالدرجة الأولى، نظرا لما تمتاز به المنطقة من مناخ ممتاز وأراضي خصبة صالحة لكل أنواع الزراعة، وكان القمح أهم منتج في الإيالة، ذكر فونتير دي بارادي Venture de Paradis في كتاباته "إن قمح مملكة الجزائر صلب، يعطي نسبة كبيرة من الدقيق ويستعمل في صنع العجائن" (Paradis, 1983, p. 126)، كما قال عن قمح قسنطينة أنه أجود قمح نظرا لما يعطيه من طاقة للمستهلك، وصنفه في المرتبة الثانية بعد قمح سردينيا (Paradis, 1983, p. 126) بالإضافة إلى زراعة الأرز التي كانت تمارس بضواحي الجزائر وبمليانة وبلغ إنتاجه في القرن الثامن عشر من خمسة آلاف إلى ستة آلاف قنطار سنويا، وكان كافيا لسد حاجيات سكان الإيالة. اهتم الدايات أيضا بزراعة التبغ. (Paradis, 1983, p. 128) التي انتشرت بالجزائر وعنابة وكان يصدر بكثرة إلى إيالة تونس، (Paradis, 1983, p. 287) بالإضافة إلى المساحات الكبيرة التي كان يشغلها التبغ وجدت مساحات خاصة لزراعة الكروم، حيث بعد جني العنب جزء منه يباع في الأسواق على شكل فواكه، والجزء الباقي يخزن، ويحضر لصناعة النبيذ والخل، وبلغ ثمن القنطار من العنب ربع سلطاني سنة 1788 (Paradis, 1983, p. 130) كما كثرت الأشجار المثمرة في الإيالة؛ كالحمضيات خاصة في غرب إيالة الجزائر، وعملية استخراج الملح من السبخات بوهران والبليدة، من جهة أخرى مارس سكان الإيالة زراعة الكتان في مناطق مختلفة من الوطن، استعملت في صنع الهدايا، التي تبعت إلى السلطان العثماني كما انتشرت زراعة القطن وتربية ديدان الحرير (Gaïd, 1974, p. 189). كما كان ينتج في نواحي،

جيجل، وبجاية، الشعير، والجوز، والتين، والزيتون، وكثيرا من الجلود، والشموع، والشحوم (Malle, 1837, p. 57) "، كما تمتد سهول عناية على مساحة طولها أربعون ميلا، وعرضها خمسة وعشرون ميلا، وتعد أرضا في منتهى الخصوبة، تنتج جميع أنواع الحبوب. اهتم الحكام آنذاك بالقطاع الفلاحي وحاولوا تطويره عن طريق توفير الوسائل اللازمة للمزارعين، فقاموا بمد قنوات الري، خاصة في عهد الداوي محمد بن عثمان (1766-1791) واجتهدوا في البحث عن منابع المياه لتوزيعها على مختلف المناطق واستغلالها في الزراعة، مثل جريان ماء الحامة في قنوات مدينة الجزائر. نستخلص أن الحكام أعطوا للزراعة حقها، لذلك كان الانتاج الزراعي وافرا إلى درجة سد حاجيات سكان الايالة والباقي يدخر إلى أيام المحن (حروب، أوبئة، زلازل) (الزبيري، 1980، صفحة، 60).

لقد اعتمدت الزراعة على أدوات تقليدية التي كانت تجرها الحيوانات (البقر والحمير، الجمال)، ومارسها سكان المناطق الجبلية الذين بدورهم تحدوا الطبيعة، واستغلوا خيرات المرتفعات، كما جلبوا مياه الأودية للانتفاع بها في سقي أراضيهم (Gaïd, 1974, 185p. ، ولا يفوتنا أن نذكر، أن الأدوات والوسائل المستعملة لتحدي الظروف الطبيعية وتحسين أوضاع الفلاحة، حيث اعتمدت هذه الأخيرة على الصناعة، التي كانت بسيطة واتخذت الطابع الحرفي، نوع آخر من الصناعات الضخمة والتي أعطتها الدولة أهمية، هي صناعة السفن، حيث بلغ وزن السفينة من 300 طن إلى 400 طن، نظرا لجودة الخشب (الزبيري، 1980، صفحة، 61)

5. المستشرقون والتجارة بإيالة الجزائر:

كتب لاكوندامين La Condamine وقال "لم يكن للتجارة في الجزائر اعتبارا" وأنه من المستحيل مطالبة الجندي أو اليولداش الجزائري بالاهتمام بالتجارة، لان أترك الجزائر كانوا قراصنة "لكن في كتابات فونتيدي بارادي Venture De Paradis، الذي خصص صفحات عديدة في الميدان التجاري، وتطرق للصادرات والواردات في تلك

الفترة كدليل على وجودها وتطورها (دادة، اليهود في الجزائر في العهد العثماني، رسالة ماجستير، 1985، ص 104). كانت التجارة الخارجية تحت رقابة الديوان حيث الداي، هو المحدد للمواد التي تصدر وتستورد، وفي حالة وجود وسطاء بين الإيالة والمستورد من يهود أو قبائل بإمكانهم الحصول على فائدة المبادلة. كان اليهود يتحكمون في دواليب التجارة الخارجية.

وُجد نوعان من التجارة الخارجية، التجارة عن طريق البحر والتجارة عن طريق القوافل. وجدت رقابة شديدة على الشريط الحدودي خاصة على أصحاب القوافل المتنقلة بحيث لن يتم العبور حتى تدفع الرسوم الجمركية، أما في الموانئ فلن يسمح للمركب بالإبحار، حتى تراقب صلاحية السلع المصدرة. (1983,Paradis, 1983 , p.130)

على رغم تحكم الديوان في دواليب التجارة الخارجية فإن الحكام لم يستطيعوا مراقبة اليهود الذين عبثوا بالاقتصاد، حيث استغلوا فرصة سوء تسيير الحكام للاقتصاد فنتج عن ذلك عجز عرفته الإيالة الجزائرية في العهد العثماني، كما بدأت قوة الأسطول البحري تتراجع. والمعروف أنه كان يعود له الفضل في تطورها اقتصاديا. أما النوع الآخر الذي عرفته الإيالة في القرن الثامن عشر، هي تلك المبادلات المباشرة عن طريق البر مع البلدان المجاورة مثل إيالة تونس وإيالة طرابلس وبلاد السودان وبلاد الحجاز، وما يهمنا هو المبادلات التجارية مع تونس لذلك يجب الإشارة إلى أوضاع التجارة في الإيالة في إيالة تونس.

لقد وُجدت بقسنطينة أسواق محلية تجتمع فيها مختلف القبائل من الإيالة أو حتى من البلدان المجاورة في أيام معينة من الأسبوع بحيث يسمح للجميع الجيء إليها، وتعرض بضائعهم، كما وجدت أسواق جهوية، من أشهرها، سوق أولاد عبد النور، سوق الحراكتة، سوق الكنية وسوق ورقلة وسوق تلاغمة، وسوق واد سوف، وسوق

تقرت (Coyne, Revue Africaine, n° 23, 1879, p. 201) أيضا كان يقام معرض سنوي ينظمه شيخ العرب. كانت تعقد هذه الأسواق أسبوعيا في ساحة

كبيرة للقرى أو خارج المدن ويأتيها المنتجون والمستهلكون من المناطق المجاورة، وبالإضافة إلى دورها التجاري كانت تلعب دورا ثقافيا هاما، إذ يقصدها المداحون من مختلف أنحاء البلاد يقصّون على الجماهير أنواعا من الأقاصيص الدينية والتجارية وكانت، تمتلئ هذه الأسواق بالمنتجات والمصنوعات المحلية المختلفة، وبعض المستوردات التونسية خاصة مثل الأقمشة والشواشي والحازم والعطرات، والتي كانت أسواق قسنطينة تجلبها من بلاد الجريد على وجه الخصوص عن طريق تجار منطقة المزاب الذين كانوا يتعاملون مباشرة مع تجار منطقة الجريد (Paradis, 1983, p. 100)، كانت كل حرفة كانت تحت إشراف مراقب يدعى الأمين، وتشكلت الحرف في ورشات كان أصحابها يديرونها، وتتناول كل ورشة حرفة خاصة منها النجارة وحرفة السراجة (Kadache, 1991, p. 74)، ومن الصناعات التي لعبت الدور الأساس خلال القرن الثامن عشر في الاقتصاد الجزائري باعتبارها أساسية: الصناعة الجلدية وتجلّت في حرفة الحدادين (St Gervais ,Revue de L'occident musulman et de la méditerranée ,année 1973 volume 15, pp 16- 146.) بالإضافة إلى حرف أخرى يتم التطرق لبعضها وتسميتها حسب ممارستها. فقد وُجد القشاشون وهم بائعو الملابس المختلفة، الفواقة يعرضون الخضر والفواكه، والجلابون كانوا يبيعون الحيوانات مثل البغال والحمير التي تجلب من كل مناطق البلاد (Charles Feraud Revue Africaine, n° 16, 1872, p. 451) والنجارون الذين يشترون الخشب من الأوراس ومنطقة القبائل، أما الأدوات الصناعية فكانت تستورد من أوروبا، عن طريق موانئ إيالة الجزائر ، والحدادون ينتجون مختلف الصناعات الحديدية، أيضا السفارون هم صناع الأواني النحاسية، القصدرون نسبة إلى معدن القصدير؛ تتمثل سلعهم في نوع من الصناعات المعدنية التي احتكرها اليهود خاصة، والتشاقماجية تمثلت في صناعة البنادق والبطاريات، السرارون هم صانعو خشب البنادق، والسمارون الذين كانوا يحضرون المسامير والقطع الحديدية للخيل والبغال والحمير، وحرف

أخرى اشتهرت بها إيالة الجزائر مثل السّراجة والخرازة الخاصة بصناعة الأحذية والبشماقية نسبة لصانعي البشماقي بالإضافة إلى الحرف العامة مثل البناء والكواوشة (الخباز)، والصوابنية والدخاخنية تخص بيع التبغ، القهوةجية والطبخ والحلواجية، وحرفة الكنافة التي تتمثل في نظافة المدينة (Charles Feraud ,Revue Africaine, n° 16, 1872, p. 451)

لقد اصطفّت معظم الأسواق حول الجوامع، وهي أسواق كلها مغطاة تقريبا في مأمن من الشمس والمطر. وأشهر هذه الأسواق سوق العطارين، أو باعة التوابل والعطور، وسوق القماشين، وسوق الصاغة، وسوق الغزل، وسوق القشاشين أو باعة الخردة، ، وسوق باعة الشمع، وسوق العرافين، وغيرها وكثير من الأسواق المنتشرة في أنحاء المدن. وعلى غرار الحرف التقليدية الأخرى، فقد كان لهذا القطاع أمين (De.Voulx, 1852, p. 34) يسهر على آداب المهنة وأخلاقياتها، ويعمل على تسوية النزاعات فيما بين المهنيين من ناحية وبين الحرفيين والزبائن من ناحية أخرى، كما وجد شيخ البلاد يسهر على مراقبة نظام الحرف (De.Voulx, 1852, p. 32) ثم توسعت رقعة هذه الأسواق، لتتجاوز الحيز المحلي الاقليمي، وشيئا فشيئا أصبح التواصل ليس فقط اقتصاديا بل ثقافيا، فاستطاع العلماء التواصل أثناء ممارستهم للتجارة، واستطاعوا بإصرارهم وحكمتهم، أن يجعلوا في هذه الأسواق منابر تنطلق عبرها أصواتهم إلى صدور المسلمين، وإتاحة المجال أمام أكبر قدر من تجار المنطقة، للحصول على العلم. أما أشهر البضائع التي، كانت تتبادلها قبائل جنوب الإيالة: الملح، الصوف، الحرير، الحديد، السيوف، والأقمشة، التمر، النحاس، القطن.

6. المدن جزائرية في أدبيات المستشرقين:

كثرت المدن والخواضر العلمية في إيالة الجزائر والتي كان لها دورا فعالا في تربية الأجيال وتكوينهم علميا ، كما كانت هذه المدن محل استقطاب طلبة العلم من داخل الإيالة وخارجها، نجد مدن حدودية مع المغرب مثل تلمسان وتوات ومدن داخلية مثل

مازونة ومعسكر، ومأخرى حدودية مع إيالة تونس، مثل قسنطينة، وقد عجت هذه المدن بالمساجد والزوايا، ذلك ما جعلها مساحات جالبة للعلماء ومن هذه المدن نذكر:

6. 1. مدينة وهران: تقع مدينة وهران على الساحل الشمالي لإفريقيا، عند مدخل مضيق جبل طارق، في أسفل الخليج الذي يحد أبوجا من الشرق، وخليج فالكون في الغرب، يبلغ عرض هذا الخليج ثمانية وعشرين كيلومتراً وخمسين متراً وعمقه أحد عشر كيلومتراً وعند هذه النقطة الهيدروغرافية تقع وهران. أما موقعها حسب الاحداثيات الجغرافية، فهي تنحصر بين خط عرض $35^{\circ} 42' 40''$ شمالاً وخط طول $2^{\circ} 59' 39''$ غرباً ميريديان باريس. أشار (M.Bérard) إلى هذا الموقع لقلعة Santa-Cruz التي تهيمن على المدينة وحسب هنري ليون فاي Henry Leon Fey يُزعم أن وهران قد بنيت على أنقاض مستعمرة قرطاجية أسسها هانو Hannon في الحملة الرومانية الأولى سنة 500 ق.م، واستدل المؤرخ بالعملات البونيقية التي، جمعها الرومان بعد تواجدهم بالمنطقة. (Fey، 1858، p 30)

6. 2. مدينة مازونة:

تحدث عن موقعها شاو Chaw "تقع على بعد مرحلة جبال شلف على قاعدة سلسلة طويلة من الجبال التي تبدأ من غرب بني زروال إلى غاية شلف اتجاه المدينة. ويذكر أن المدينة بناها عرب الأندلس التي تشبه في ملامح عمرانها مع القالة، ولا يوجد بها أثر للعرمان الروماني (Dr.Show, 1830, p. 252) وهذا ما ينفي ما قاله مارمول Marmol أنها مدينة بناها الرومان، وذلك استنادا على وجود بعض الآثار الرومانية واللوحات المنقوشة بها.

6. 3. مدينة قسنطينة: لقد وصف المدينة العديد من الرحالة أمثال البكري (سعيد بوفلاقة مجلة حوليات جامعة الجزائر 1، العدد 30، الجزء الثاني، ص ص28-39).

، وخص الرحالة الحسن الوزان مدينة قسنطينة بوصف دقيق للحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية واليومية، تحدث عن العمران وما لفت نظره من جمال الموقع وروعة التخطيط والتحسين (Dr.Show, 1830p.326)

7. الفقرات في الصحراء الجزائرية في الكتابات الاستشرافية:

اعتمد سكان الصحراء الجزائرية على تقنية استخراج المياه الجوفية واستعمالها في حياتهم اليومية، فاكتشفوا الفقارة، وهي أسلوب ري يمدّهم بالمياه التي يشربونها ويستقون بها مزروعاتهم من النخيل ونباتات أخرى، ووجد من المستشرقين من إهتم بها فوضع دراسة تحليلية المؤرخ أو المحلل الفرنسي لوسي بابي Louis papy عن تراجع الفقرات في الاقليم الصحراوي وتحدث عن التقنيات التي سمحت لسكان الصحراء من ابتكار واحات في مناطق جافة للغاية تنعدم فيها الأمطار، هي تقنية الفقارة (Louis Papy, les cahiers d'outre mer année 1959, n°48, p26.) فالفقارة هي معرض تحت أرضي (galerie souterraine) قليلة الانحدار، تعمل على تصريف المياه الجوفية وتوجيهها نحو الأراضي المراد سقيها بطريقة الفقارة.

إن عملية تصريف وتوجيه المياه الجوفية الجنوبية، يقول المؤلف إنها ليست عملية، أو تقنية تخص فقط سكان الصحراء الجزائرية مثلا أو المغربية، وإنما سبق وأن استعملها (، وفي Kanat سكان آسيا (إيران)، وتختلف تسميتها، فيطلق عليها قناة أو كناة) (Louis Papy ,les cahiers d'outre mer année 1959, n°48, p26.) Khirat أفغانستان يطلق عليها خيرات) والسؤال المطروح ما هو تاريخ (Louis Papy ,les cahiers d'outre mer année 1959, n°48, p26.) ابتكار تقنية الفقارة في الصحراء؟

فالتقنية وجد الحديث عنها في الكتابات عن مراكش سنة 1078م، كما أنه أرجع أصلها إلى مجيئ الهجرات العربية إلى المغرب، وهم الذين أوجدوها في المنطقة، في حين

يقول أن أصلها من عند الإبرائيين، الذين جاؤوا مع العرب الهلاليين هم الذين ابتكروها في المنطقة.

عمق الفقارة يقدر من 8 إلى 15 متر في القرارة ومن 8 إلى 30 متر في توات، وقد أشار مؤرخ آخر بالإضافة إلى وجود هذه التقنية في صحراء الجزائر، وصحراء المغرب (تافيلالت) أنها موجودة أيضا في أمريكا اللاتينية **(Jean Claude Granier, revue des tiers monde, n°83, année 1980, p650)**

يحدد المؤرخ والعسكري Henri Charles –La- vauzelle هنري شارل دولافوزال أن توات من مقاطعة بودا إلى نقطة انطلاق من واد مسعود ويكون منحرج فوق منطقة تيمي إلى غاية منطقة رقان، أين يتواجد مجرى مائي مغمور بالرمال وذلك ما يشكل حوضا نوعا ما ممتدة، عرض الحوض يقدر تقريبا 60 كم، وطوله حوالي 200 كم ما يعطي مساحة تقدر بـ 1200 كم² واحات توات مقسمة طبيعيا إلى أربعة مجموعات سكانية القرارة وأقروت في الشمال والجنوب يسمى توات وتيدكلت الجنوب الشرقي.

وبغية توضيح المنطقة التي لعبت دورا كبيرا في التجارة بين المدن التالية والجنوب وبين المغرب والجنوب أيضا، أو التجارة بين هذه المنطقة والتافيلالت وحتى فاس لا بد من عرض الإطار الجغرافي بطريقة واضحة.

1.7 القرارة:

الهضبة التي تشكل القرارة تمتد بمساحة تقدر بـ 500 كم² يحده من الغرب والشمال في نفس الوقت العرق الغربي من الشرق وتحده هضبة تادميت، ومن الجنوب واد مسعود، والقرارة يشكل مصبا طبيعيا لهذا الواد ويستقبل كل المياه الجوفية الآنية من الأمطار من الشمال. المنطقة معروفة بالمياه الجوفية (ليست بعمق كبير)، ذلك ما أدى إلى وجود واحات كثيرة وكثرة القصور بها. معظم سكان القرارة كانوا بربر **(Lavauzelle, 1895, p. 133)**

2.7 أوقروت:

منطقة أوقروت تقع محاذية لواد مقيدم، قصور هذه المنطقة يسكنها قبائل عربية
(Jean Claude Granier, revue du Tiers-Monde, tome 21, n°83, 1980. Algérie 1980, p26). مثل الخنافس

3.7 منطقة تينركوك:

توجد في جنوب العرق الغربي به كشبان رملية شاسعة، وفي وسط هذه الكتلة
الرملية الواسعة التي تبين أنه يستحيل فيها العيش، يوجد مصبات طويلة لأودية مغمورة،
وبالتالي عرفت المنطقة بمرور القوافل التجارية بها للراحة خاصة منها القوافل الآتية من
المغرب.

4.7 منطقة تيميمون:

تقع المنطقة جنوب سبخة القرارة ويستخرج من المنطقة الملح من الجودة الحسنة، يذكر المؤرخ
أن سطح السبخة يكون دائما رطب وبه وحل خاصة في فصل الشتاء الفصل الممطر، أما في فصل
الصيف تصبح الأرضية جد صلبة، تعتبر المنطقة مكتظة بالسكان نظرا للنشاط التجاري والصناعي بها

(Lavauzelle, 1895, p. 127)

5.7 منطقة تيدكلت:

تقع شرق رقان يحدها من الغرب واد مسعود، وواد جارت من الجنوب. المنطقة
غنية بالمياه الجوفية، ما جعل بها عدد كبير من الفقاقير وتذكر الكتابات التاريخية أن تيدكلت
منطقة إستراتيجية في المبادلات التجارية باعتبارها مركزا هاما للقوافل التجارية، يعد مركزا
للسلع التي تشتري وتباع للجنوب كالسودان وقبكتو، كما يشكل همزة وصل بين الشمال
والجنوب والشرق والغرب في نفس الوقت (Lavauzelle, 1895, p. 129)

8. الخاتمة:

من خلال هذه الورقة البحثية نستخلص ما بدله المستشرقون من جهود؛ من أجل
وضع صورة متكاملة عن المجتمع الجزائري بمختلف مكوناته الحضارية، كما اعتنوا بترجمة

الكتب والمخطوطات للتعرف على العادات والتقاليد واللهجات، وكان أغلب المستشرقين ينتمون إلى المؤسسات العسكرية و مترجمين، عززوا دراساتهم بترك حوليات وأوراق بحثية، ومجموعة من المؤلفات بالعربية والعامية والفرنسية، كما تناولوا في دراساتهم عن العادات والتقاليد والنسيج الاجتماعي، اعتمادا على المصادر الشفوية والمكتوبة. وتعرضت دراساتهم للمناحي الحياتية، والأنشطة التي كانت تمارسها القبائل الجزائرية؛ كالحرف والصنائع والمبادلات التجارية، ووصف بعض الحواضر العلمية والأقاليم في التل والصحراء، ورغم ذلك فإن الدراسات الاستشرافية تحتاج إلى النقد والتحليل من أجل استجلاء الحقائق التاريخية التي كانت متأصلة في المجتمع الجزائري والاستفادة منها في تدوين التراث وتاريخ الجزائر بموضوعية.

9. قائمة الإحالات

المؤلفات:

- 1) سيمون يفافير، مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر، تعريب وتقديم أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د. ط، 1974.
 - 2) أبو العيد دودو، الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان 1830-1855، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1989.
 - 3) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، 1830-1954، ج8، ط1، دار الغرب الاسلامي، بيروت 1998.
 - 4) محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري (1792-1830) المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1980.
 - 5) هانريش فون مالتسان، ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا، ترجمة أبو العيد دودو، ج1 الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1976.
 - 6) وليام شالر، مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816-1824، تعريب وتعليق وتقديم، اسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 87.
- الأطروحات:

7) محمد دادة، اليهود في الجزائر في العهد العثماني (من مطلع القرن 11 حتى 1830)، رسالة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف الأستاذ الدكتور محمد خيرى فارس، مكتبة الخنساء، دمشق 1985

المقالات:

8) سعيد بوفلاقة، قسنطينة في عيون الرحالة والجغرافيين، مجلة حوليات جامعة الجزائر 1، العدد 30، الجزء الثاني، ص ص 28-39.

المواقع:

9) حاج بنبرد، جهود المستشرقين في دراسة اللهجات الجزائرية- مقارنة إثنوغرافية، مجلة دراسات إستشرافية، العدد 22، ربيع 2020، ينظر الموقع:
<https://m.iicss.iq/?id=101&sid=190>

Livres :

- 10) De.Voulx .Tachrifat ,Recueil de notes historique sur l'administration del'ancienne Régence D'Alger ,Imprimerie du Gouvernement ,Alger ,1852.
- 11) Dr.Show, voyage dans la régime d'Alger, ou d'escription géographique, physique, philologique Etc de cet état, traduit par J.Mac Carthy, éditeur, Marlin, Paris, 1830.
- 12) Dureau de la Malle, La province de Constantine ,Paris ,1837.
- 13) Henri Charles Lavauzelle, la question du Maroc, étude géographique politique et militaire, éditeur militaire, Paris.
- 14) Henry Leon Fey,Histoire d'Oran avant et après la domination espagnole, Typographie Adolphe éditeur, Oran, 1858.
- 15) Mahfoud Kadache, L'Algérie durant la période Ottomane, O.P.U, Alger, 1991.
- 16) Mohamed Ben- Abi -El-Raini El-Kairouani, Histoire de L'Afrique, traduite de l'arabe et résume par M M E Péliissier, imprimerie royale, Paris.
- 17) Mouloud Gaïd, L'Algérie sous les Turcs, Société nationale d'édition et de diffusion, Alger.

- 18) Venture de Paradis, Tunis et Alger au 18^{ème} siècle, présenté par Joseph Cuaq, Bibliothèque arabe, imprimé à Dijon, 1983.

Articles:

- A. Coyn, Le Mzab, In, Revue Africaine, n° 23, 1879.
- 19) Jean Claude Granier, Rente Foncière et régulation économique dans le courara algérien, revue des tiers monde, n°83, année 1980.
- 20) L. Charles Feraud, Les corporations de métier à Constantine avant la conquête française, in , Revue Africaine, n° 16, 1872.
- 21) Louis Papy, le déclin des Foggaras au Sahara, d'après des travaux récents, les cahiers d'outre mer, n°48, année 1959.
- 22) St Gervais, Les industries du cuir a Tunis hier et aujourd'hui d' après, Mémoire de l' ancien consul St Gervais , In Revue de L'occident musulman et de la méditerranée, volume 15^e année 1973.